التجربة في الوثائقي متنفس ضروري بين فيلم طويل وآخر

غسان شميط لـ«الوطن»: السينما لدينا همّ وطني والمؤسسة لا تستطيع أن تتصدى للحلّ

| عامر فؤاد عامر

حمل بصمته الخاصّة من الجولان السوري المحتل الذي ولد فيه عام ١٩٥٦ ودرس في المعهد العالي للسينما في أوكرانيا، نال شهادة الماجستير في الإخراج السينمائي عام ١٩٨٢ وقدم ثلاثة أفلام روائيّة قصيرة هي «اللعبة» و«الرقيب» و«صيد تحت الماء» وفي رصيده ١٥ فيلماً وثائقياً كان آخرها «الباشا»، أمّا أفلامه الروائية الطويلة فكانت جميعها من إنتاج المؤسسة العامة للسينما وحصل فيلمه «الهويّة» الذي أُنتج في العام ٢٠٠٧ على جائزة مهرجان «فجر» السينمائي في طهران، والجائزة الكبرى في مهرجان «تطوان» في المغرب»، ومؤخراً انتهى من تصوير مشاهد فيلمه الروائي الجديد «تحت سرّة القمر»، وفي مجموعة من الأسئلة حول الهمّ السينمائي السوري وإنجازاته في السينما كان هذا الحوار مع المخرج «غسان شميط».

المخرج غسان شميط

من فيلم «شي ما يحترق»

> السينما هي المخرج لكن نجاح الفيلم يأتي من تكامل الفريق

■ انتهيت مؤخراً من تصوير فيلمك الطويل المأخوذ عن رواية «تحت سرّة القمر» وبدايةً لماذا اخترت هذه الرواية بالذات؟ وإلى أي حدّ كان لأحداثها انطباق على الرؤية الإخراجية؟

ما شدّني في الرواية «تحت سرّة القمر» هو صدّق الكاتبة «جهينة العوّام» والأمانة التي تعاطت بها مع رواياتها، وذلك اتجاه ما يحدث من حولنا، ولذلك رأيت في الكاتبة نجاحاً وتميّزاً في عالم الكتابة، ولاسيما أنّها تجربتها الروائيّة الأولى، فقد تناولت شرائح اجتماعيّة متعددة من حياتنا، فلامست جرحنا السوري الذي نعاني منه يومياً، بالقسوة والصعوبة التي نحس بها فعلاً، فتُظهر العائلة الأساسية التي تنتقل من بيئة لأخرى في مقدرتها على التأقلم في المكان الجديد، وبناء علاقات جديدة، وهنا تكمن الدعوة للتآخي بقوّة، والتقرّب من بعضنا، ونسيان الأحقاد والكره، وأنّ يتعامل الإنسان مع غيره بهدف الإنسانية من دون التطلع لخلفيّات طائفيّة، وعموماً سورية كانت في هذا التعايش، والمحبّة، والتسامح، وهذا ما أعرفه من تجربتي أثناء تصوير الأفلام وخاصة في كلّ المناطق السوريّة، فالرواية تدعو للتعامل مع بعضنا بإنسانية مع احترام الخصوصيّة، والحريّة الشخصيّة، والفكرية من دون أن نُضرّ ببعضنا.

عموماً العمل الروائي مختلف عن السينمائي، ففي الرواية يمكن للكاتب أن يشطح في خياله كما يودّ، والمساحة مفتوحة للشرح، والحوار، والاستفاضة، على حين في السينما هناك شاشة تحدّد الأحداث في بداية ونهاية، في خصوصيّة تشدّ المتفرج، وبالتالي عندما تناولنا النصّ الروائي لتحويله لسيناريو فيلم – أنا والكاتبة جهينة معاً – قرّرنا ألا نضع كلّ الأحداث في الفيلم، فهي رواية كثيرة الأحداث، فأخذنا الخطّ الأساسي منها وتركنا الخطوط الجانبيّة، وذلك للوصول لهدف محدد، مع إضافة تفاصيل لم تكن موجودة في الرواية، وهذا الأمر يُغني الفيلم طبعاً، بالإضافة إلى أن هناك أشياء تمّت إضافتها حتى أثناء التصوير، وما مشيت به هو مساحة كبيرة للحبّ، فالأبطال في الفيلم لديهم مساحة ليحبّوا بعضهم، ويتآلفوا أكثر.

■ سرعة الإنجاز في تصوير الفيلم ضمن ظروف غير مثاليّة؛ كان سمة أساسية في العمل، فكيف كان لكم «كفريق عمل» كلّ ذلك؟

أعتقد أن الخبرة لها دور فيما تقول، فسابقاً كان يلزمني من ثلاثة إلى أربعة أشهر للتحضير للفيلم قبل الشروع في العمل به، أمّا الآن، وبتعاون الجميع، فقد أنجزت العمل في وقت قصير فعلاً، ولربما فيما ذكرت من الأوضاع العامّة التي نعيشها، هو سبب رئيس دفعني للعمل بسرعة، والاستفادة من كلّ الوقت المُتاح، فكان هناك اجتهاد وجديّة، وللملاحظة هذا لم يكن على حساب الجهود الفنيّة، وأيضاً أريد الإشارة إلى أن الجميع كان همّه العمل، والإنجاز، وكان هناك طابع محبّة من الجميع، لنكون يداً واحدة أثناء العمل، وهناك ملاحظة حول انتقائي للفنانين؛ فأنا لا أفضل نجوم الصف الأول في العمل معي لأن أولئك يفرضون، ومن خلال خبرتي معهم، قيوداً على العمل تؤخر من الإنجاز. وبحسب رأيي: السينما هي المخرج في النهاية، بالطبع هذا لا ينفي جهود الجميع لكن هذه حقائق يصل إليها الشخص مع مرور الوقت، فمثلاً في الدراما التلفزيونيّة النصّ هو الأساس في النجاح، أمّا في المسرح فالممثل هو عامل النجاح الأوّل، لأنه حاضر مباشرةً، فكلّ فنّ له خصوصيّة، ولذلك لا أهتم في السينما لوجود النجوم بل انتقي الممثل المناسب للدور، وهكذا أكسب خمسين بالمئة من نجاح الخطوة، وتقع الخمسون الأخرى في حالة الاهتمام المشتركة بيني وبين الممثل، والتصوير، وجميع العاملين بالتأكيد، وهكذا يأتي التكامل في الفيلم السينمائي المثالي، وعن الممثلين في «تحت سرّة القمر» كانوا جميعاً يحضرون في الوقت المحدد، ولم نعان من أي تأخير، والجميع منسجم ليقدّم أجمل صورة للعمل.

■ عقبات كثيرة واجهتك في فيلم «الشراع والعاصفة» المأخوذ عن الرواية نفسها للأديب «حنا مينة» وعلى الرغم من تحدي ذلك إلا أنه لم يلقَ اهتماماً في عرضه وافتتاحه بما يليق، لماذا؟

مرّ وقت ليس بالقليل في كلّ خطوة تخصّ هذا الفيلم؛ من حقوق الرواية إلى كتابة السيناريو والموافقات الخاصّة، إلى أن جاءت مشكلة تجسيد العاصفة في الفيلم؛ فكان من الصعب على المؤسسة العامة للسينما أن تنتج بمفردها الفيلم إذ ازدادت التكلفة، ففكرنا بالشركاء في الإنتاج، ليدخل عدد منهم ثم ينسحب، لكن فيما بعد تصدّت المؤسسة العامة للسينما مع الوزارة لإنتاجه، والتصوير كان في استديو مغلق في أوكرانيا، وبعد الانتهاء من ذلك، كان لدينا وقت إضافي للغرافيك ولاسيما أنّ العاصفة فيها مراحل، وتحتاج دقة في نقل الصورة، ولكن في النتيجة ظهر الفيلم، لكنه جماهيرياً لم يلقَ العرض والاهتمام المناسبين، وفقط عُرض في سينما الكندي في دمر، ولربما مستقبلاً سيكون لمؤسسة السينما وقتها في تسليط الضوء عليه، واليوم أتلقى الكثير من المطالبات في عرضه وخاصّة من قبل أهلنا في المنطقة الساحليّة لكون الفيلم يروي أحداثه في هذه المنطقة بالتحديد.

■ تجربتك في الفيلم الوثائقي كبيرة، فما مشكلة هذا النوع من الأفلام لدينا أيضاً؟

لا اعتبر الفيلم الوثائقي أقلّ أهمية عن أفلام الرواية، فهناك أفلام مدّتها نصف ساعة، وتحمل أهمية كبيرة في المضمون، والمشكلة لدينا أنه لا توجد قنوات لعرض الوثائقي، ولا بدّ من إيجاد حلول ناجعة لهذه المشكلة، وفي رصيدي خمسة عشر فيلماً بمواضيع حساسة منها «المدن المنسيّة» الذي يروي الحكاية عن مواقع أثريّة غير معروفة، و«قلاع الشمس» الذي يتحدث عن كلّ القلاع الموجودة في سورية، و«دار المسك» عن دمشق، و«الأبواب السبعة» عن أبواب مدينة دمشق، وعن «خانات دمشق» وغيرها، وهي مواضيع مهمّة جداً، وتحمل تاريخاً لمواقع ربما تعرضت للتخريب والتدمير خلال الأزمة الراهنة.

شخصياً أحببت التجربة في الفيلم الوثائقي، وبما أنه لا يمكن أن أقدّم دائماً فيلماً روائياً لظروف الإنتاج والمؤسسة العامة للسينما، فقد وجدتُ غايتي في الفيلم التوثيقي، وقريباً سأبدأ فيلماً جديداً عن مراكز الإيواء في سورية، فلا مشكلة لدي، إلا في التوقف فهو متنفس ضروري بين كل فيلم طويل وآخر.

من فيلم «تحت سرة القمر»

■ حدّثنا عن فيلمك الوثائقي الأخير «الباشا» وعن سبب اختيارك الموضوع وضرورته؟

القائد العام للثورة السوريّة الكبرى «سلطان باشا الأطرش» هو موضوع فيلمي الوثائقي الأخير، ولدى التمعن في الشعار الذي نادت به هذه الثورة «الدين لله والوطن للجميع»، وجدتُ بأنّنا أحوج ما نكون لتطبيقه، إضافة إلى رغبتي الشخصيّة في توثيق حياة هذا القائد، الذي لم يطمع بمركز أو بموقع حتى بعد استقلال الوطن، وجلاء المستعمر الفرنسي، بل فقط بقي في بيته ومزرعته، ولم يقبل أيّ مكافأة ماديّة أو منصب حكومي، ومن هنا وجدت بأنّه من الضروري أن نشير لهذا المثل لتقتدي به الناس في هذا الوقت بالتحديد، والمؤسسة العامة للسينما تجاوبت فوراً في الموافقة، وتقديم المعدّات اللازمة، وعرضناه في مهرجان سلطان باشا الإبداعي الأول مؤخراً، كعرض أول في محافظة السويداء، ولكن في دمشق لم يُعرض بعد، ولكن من الممكن أن نعرضه قريباً.

■ دائماً نقول ونشتكي أنّه لدينا مشكلة في الإنتاج والتوزيع السينمائي في المؤسسة العامة للسينما، أين تكمن المشكلة برأيك مع العلم بأن لا أحد يسعى لطرح حلّ حقيقي؟

السينما مرتبطة بتطور المجتمع ومدى رقيّه، والموضوع لدينا هو همّ وطني، ولا يجوز إلقاء اللوم على المؤسسة العامة للسينما؛ فأولاً هي الجهة الوحيدة المنتجة للأفلام، وثانياً لولا وجود هذه المؤسسة لما كان هناك فيلم سوري أصلاً، فالمؤسسة لا تستطيع أن تحل الهمّ بمفردها، وعلى الجميع أن يتكاتفوا لإيجاد الحلّ، ففي بعض الدول كانت المولات التجاريّة تقدّم حلاً من خلال تخصيص ركن منها لعرض الأفلام في صالة سينمائيّة، وهناك المزيد من الأفكار الناجحة، وعموماً لدينا في سورية ٤٠٠ مركز ثقافي، وفي كلّ واحد منها يوجد مكان لعرض الأفلام، وأجهزة إسقاط، وهذه هي إحدى الحلول المتوافرة بين أيدينا، وغير المفعلة للأسف.

■ الجائزة والتكريم أشياء تلاصق العمل الإبداعي المميز فماذا يعني لك ذلك؟

ذلك ما يمنح الشخص حافزاً لتقديم الأفضل فيما بعد، فهو اعتراف بإبداع الشخص، لكنه ليس همّاً بالنسبة لي، فهمّي دائماً أن يكون الفيلم هادفاً، ويتحدث عن قيمة، وأنّ أكون راضياً عنه. وإنّ جاءت الجائزة في وقت مناسب غير متوقع فهذا هو الأجمل، وذلك ما حصل معي في طهران عندما نلت جائزة مصطفى العقاد على الرغم من مشاركة أفلام كثيرة، وأيضاً في مهرجان تطوان إذ لم يكن في اللجنة إلا عربي وحيد هو «حسين فهمي» فقلت لنفسي من الممكن ألا يتفهموا فيلماً سورياً، لكن تفاجأت بنيلي الجائزة الكبرى، وأنّ الفيلم وصل إلى جمهور غير عربي.

■ بين البيئة والفكرة والموضوع كيف يمكن لغسان شميط تبسيط الصورة السينمائيّة وتقديمها للمتلقي؟

من الممكن أن يبدأ الاختلاط في الفهم مع بداية الفيلم؛ لكن مع متابعة المتفرج للقصّة سيجد شرحاً وافياً ليفهمها، والغاية الأساسية لديّ من الفيلم السينمائي هي قصّة يجب أن أرويها من خلال فكرة أساسية، وكلّ فيلم يتطلب أسلوبيّة مختلفة عن الآخر، وعموماً تتحدث أفلامي عن قصص مرتبطة بالبيئة الجبليّة وبأهل المنطقة الجنوبيّة، وهذا يشكل لي حافزاً لطرح فكرة يعاني منها عدد كبير من الناس، كما في فيلم «شيء ما يحترق» وقضية النزوح التي طرحتها فيه، أو فيلم «الهويّة» و«الطحين الأسود» ومسألة التقمّص فيهما، وفي «الشراع والعاصفة» ابتعدت عن البيئة الجبليّة الساحليّة لكنني قدّمتها في موضوع إنساني أطرح فيه مشكلة عامة أيضاً.

من فيلم «شي ما يحترق»

خواطر رمضانية.. عالم حلو من الذكريات!

| منير كيال

تراود ذاكرة الواحد منا، خواطر من الصعوبة بمكان نسيانها، فهي تتعايش معنا كالقدر ولا تكاد تفارقنا، وإذا كان لها أن تتوارى من حين إلى حين آخر، فإنها لا تلبث أن تعاود تحوم في ذاكرة المرء حوم فراش حبيس أمام ضوء من شعلة، فتأخذ عليه تفكيره وسلوكه، ولا يجد مجالاً للخلاص منها.

ومن ذلك ما تعايشناه من ذكريات شهر رمضان، يوم كنا صغاراً نحاول صيام أيام هذا الشهر، أسوة بالكبار ممن حولنا.

إذا حلّت أيام شهر رمضان، تبدلت أساليب تعايشنا مع من حولنا، من أخذ وعطاء، وارتباط بالحياة بكل ما في ذلك من روابط روحية واجتماعية..

وأصبح من يخرج عن أطر هذه الحياة بقليل أو كثير، ينظر إليه، وكأنه غير جدير بالتعامل، أو التعايش مع ما يحيط به من أترابه، ومع ما يحيط به من الآخرين..

كنت تراهم ينظرون إليه نظرة استهجان وامتهان، ويلصقون به أبشع الصفات، ويتمنون له أسوأ العواقب ومن ذلك ما تناقله تراثنا الشعبي بمفطر أيام شهر رمضان وقد قصدوا بكلمة البم، المفرط في السمنة، وأرادوا بنهر قليط، النهر الذي يحمل فضلات المدينة، وبيت المي هو دورة المياه كما هو معروف وإذا كان الطفل يحاكي الكبار في صيامهم بل سلوكهم، فقد كان لهذا الصائم، محبة ومكانة خاصة، من جميع أفراد الأسرة، لدرجة أن جدته لا تتوانى عن حمل ذلك الطفل الصائم، والطواف به بأركان المنزل مباهية به، قائلة إنه أصبح شاباً يحق له أن يحمل اسم الأسرة، وهي في طوافها بهذا الصائم على أفراد الأسرة بل الجيران، تعبر عن الفرحة به، وكل من هؤلاء لا ينسى أن يقدم للطفل ما لذّ وطاب من المآكل التي يخبئها إلى وقت الإفطار.

وكان الواحد من أولئك الأطفال الصيام، إذا التقى أحد أترابه، سرعان ما يسأله، إذا كان صائماً مثله، فإذا كان الإيجاب، يطلب إليه أن يفتح فاه (فمه) ليتأكد من صيامه، وما أن يفتح فمه، حتى يسارع إلى سحب صيامه من فمه وهو يقول: أخذت لك صيامك.. أخذت لك صيامك، ويتبع ذلك بقول:

يا رمضان غيّرت الطبيعة، السن صغير والرقبة رفيعة.

وكان إعلان مولد هلال شهر رمضان يرتبط بتقاليد وشروط لابد من توافرها، أكان ذلك بوقت بزوغ هلال الشهر أم في شكله واتجاهه، ويصدر هذا الإعلان عن اجتماع وجهاء أحياء المدينة والمفتي العام والعديد من علماء الدين الإسلامي بالمحكمة الشرعية التي كانت بزقاق المحكمة وبقربها المدرسة الجوهرية، فإذا وفد إلى المحكمة من يثبت مولد هلال شهر رمضان وكان على نحو من السمعة الحسنة يتداولون مع قاضي المحكمة الشرعية في موضوع إعلان بدء شهر رمضان وبدء الصيام، فإذا كان ذلك ينصرف الوجهاء كل إلى حيه لإعلان البشارة، وينطلق المسحرون إلى مطافاتهم لإعلان ذلك.. واستعداداً للصيام وتلبية حاجات الناس بهذا الشهر ترى المحال بالأسواق وخاصة سوق البزورية وباب السريجة وأسواق مصلبات الأحياء بأنحاء المدينة ممتلئة بما لذ وطاب من المواد الغذائية من سمن وأرز وزيوت وتوابعها ولوازمها.. والناس يتوافدون إليها لاستكمال ما يلزمهم من مواد غذائية استعداداً لهذا الشهر.

وبالتالي تتبدل هوية دمشق، فلا تعود تجد محال وأماكن التسلية وتزجية الوقت كالمقاهي ونحوها، وكذلك ما كان يتعلق بأماكن تزجية الوقت بالمسارح ودور السينما، فإنها تصبح معدومة ولا رواد لها، ويستعيض الصائم عنها بأماكن دور العبادة وبخاصة المسجد الأموي والأخرى الكبرى بدمشق، كمسجد الشيخ محي الدين ونحوه وذلك لحضور حلقات دروس العلماء كالشيخ أبو اليسر عابدين والشيخ صالح فرفور وكذلك الشيخ أحمد كفتارو وأمثالهم ممن كان يحرص على توجيه الناس إلى كل ما يتعلق بأمور الدين الحنيف وخاصة صيام شهر رمضان، وكان لكل حلقة من حلقات أولئك العلماء الأجلاء مريدون يتابعون دروسهم جلوساً ووقوفاً فضلاً عن ذلك كان عند وحول كل عمود من أعمدة الأموي أناس يلتقون للاستماع إلى المواعظ والإرشادات الدينية، والوقوف على أصول الدين الحنيف ومعرفة ما قد يكون قد خفي عنهم من تلك المعارف.

> الإمساك عن كل ما يغضب الله من قول أو عمل والصيام فرض على الإنسان منذ الأزل

وكان شهر رمضان شهراً مقدساً قبل الإسلام، وقد ورد في اللغة الآرامية باسم رَمَعَ أي رمض، لأن الضاد العربية، تقابلها العين الآرامية.

ويرى الدكتور حامد الخولي في كتابة رمضان في عصور الإسلام معنيين للفعل رمض، الأول: بمعنى حر الحجارة، لأن الرمضاء هي الأرض الشديدة الحرارة من وهج الشمس.

والمعنى الآخر من قولهم رمضت النصل إذا دفعته بين حجرين ليرقّ بمعنى أنهم أطلقوا على الشهر تسمية رمضان لأنهم كانوا يرمضون فيه أسلحتهم استعداداً للقتال في شهر شوال الذي يسبق الأشهر الحرم.

وعلى هذا فإن الصوم لغة هو الإمساك عما تتنازع إليه النفس والكف عن الإضرار بالآخرين.

وهو (الصوم) في الشرع: الإمساك عن الأكل والشرب ومواقعة النساء من الفجر إلى المغرب، كما أنه الإمساك عن كل ما يغضب الله من قول أو عمل وفي جميع الأحوال فإن الصيام فُرض على الإنسان منذ الأزل، وهو ركن من أركان كل دين، فهو أقوى العبادات، حتى إن الوصية الأولى التي وصى بها الله آدم وحواء، هي وصية الصوم (النهي) عن تناول ثمار إحدى الأشجار، وهو معروف عند قدماء المصريين واليونان والرومان، لكن ذلك الصيام لم يكن مشابهاً لصيام المسلمين، فقد ورد أن السيدة مريم صامت عن الكلام في قوله تعالى: (إني نذرت للرحمن صوماً، فلن أكلم اليوم إنسياً) وقد جاء الصوم في صور متعددة متنوعة، منها الصوم عن بعض الطعام، أو عن الطعام كله، والصيام في بعض ساعات اليوم، أو صيام أيام متتاليات، ومن الصيام ما كان صيام الشكر وصيام التكفير عن الذنوب.. الخ.

وكان غاندي يرى أن الصوم يرقّق الدم فيصفو العقل وتسقط نوازع النفس التي تنحرف بالإنسان عن الصواب وكان يقول: إن الصوم لروحي كعيني لجسدي، ما تفعله العينان للدنيا الخارجية يفعله الصوم للدنيا الباطنية.

وكان صيام العرب قبل الإسلام ينحصر بصيام يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من شهر المحرم وكان رسول الله (ص) يصومه وأمر بصيامه، فلما فرض صيام شهر رمضان ترك صيام يوم عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه.. وكان المسلمون قبل فرض صيام شهر رمضان أيضاً يصومون الأيام الثلاثة البيض، من كل شهر وهي يوم ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر من كل شهر ثم نسخ ذلك بفريضة الصيام في شهر رمضان.

وهناك من يذهب إلى أن القصد من تخصيص النهار بالصيام إنما هو ابتلاء النفس وتمرينها على المجاهدة والمصابرة والجلد أمام غرائز ميول الهوى وانحراف الطبع وقد شرع الصيام في السنة الثانية من الهجرة فكان أحد أركان الإسلام الخمسة وقد ميز العلماء بين أربعة أنواع للصوم هي:

١ – الصوم المفروض وهو صيام شهر رمضان.

٢ – الصوم المحرم: وهو صوم صيام أيام العيدين وأيام التشريق الثلاثة.

٣ – الصوم المكروه وهو صيام يوم الشك وإفراد يوم الجمعة بالصيام وصيام المرأة من غير إذن زوجها، وصيام الدهر.

٤ – الصوم المندوب، ويراد به صيام شهر المحرم، وأفضله صيام اليوم التاسع والعاشر منه.

أما شروط الصيام فهي: الإسلام والعقل والصحة والإقامة والنيّة.

وما زلت أذكر توافق الكثير من الدماشقة من أبناء جيلنا والجيل الذي سبقنا وذلك باعتبار شهر رمضان من ثلاثة أقسام (أعشار) حيث يكون الاهتمام بأيام العشر الأولى من الشهر للمرق (الطعام) والعشر الثاني للخرق (كسوة العيد) والعشر الثالث الأخير كان لما يُعرف بصرّ الورق (أي إعداد محلي العيد).

وهذا يفسّر اهتمامهم خلال أيام العشر الأولى بموائد الإفطار، فينصب اهتمام السيدات على كل ما يتعلق بالطعام وأساليب إعداده أو طهيه ذلك أن الدمشقي على رغبة جامحة في تناول أطياب الأطعمة عند الإفطار، حتى إن من كان يقتصر طعامه خلال أيام الحول (السنة) يعتمد على ما يسد رمقه، فإنه لا يحرم نفسه من أطايب أطعمة الشام، أكان ذلك مما يعرف بالخروف المحشي أو أنواع الكبب والشاكرية واللبنية وكذلك طبخة الباشا وعساكره والمشمشية والشيش برك والشيخ المحشي فضلاً عن صحن الفول المدمس أو فتة المقادم والتساقي على تعددها، ولذلك كان من أهم ما يشغل بال سيدة البيت الدمشقي تلوين مائدة الإفطار بما لذ وطاب وسال من أجله اللعاب، وكنت ترى من سيدات دمشق، وبخاصة الجوار، إذا التقين بزيارة للمباركة بحلول شهر رمضان، ينصب حديثهن على أسلوب إعداد أو طهي تلك المآكل.

ذلك أن الدمشقي معروف بتذوقه للطعام فهو يعرف طعمة فمه، حتى إن من أهم وصايا الأم لابنتها لدى زفها إلى عريسها، أن تكون على عناية كبيرة بما يدخل إلى فمه فضلاً عما تقع عليه عينه وما يشم بأنفه.

فضلاً عن هذا فإن من كانت مائدة إفطاره بسيطة، فإن هذه المائدة لا تلبث أن تحفل بأطايب الطعام، بسبب التقليد الذي عرف به أهل دمشق، وأقصد به أسلوب المساكبة بين الجوار، بما تشتهيه الجارة لجارتها من أطايب ما أعدته لمادة ذلك اليوم من رمضان، وبما تعبر به عن خبيئة شعورها بالزهو لكونها أعدت أطايب الطعام.

فإذا دنت أيام العشر الأوسط من شهر رمضان، انصرف جلّ اهتمام الدماشقة إلى تلبية حاجات الأسرة من الخرق، أي كسوة العيد من الطربوش إلى البابوج، وبخاصة حاجات الأطفال، وفي أيام العشر الأواخر من الشهر تنهمك سيدة البيت الدمشقي بإعداد ما يعرف بصرّ الورق، أي حلوى العيد من معمول محشو بالجوز أو الفستق الحلبي، ومن التويتات والسنبوسك، والأقراص المحشوة بالعجوة، فضلاً عن الكرابيج.. ثم إرسالها إلى فرن (مخبز) الحارة لخبزها وهي في صاجات (أوان خاصة)... وهم في ذلك لا ينسون الأسر المستورة، التي قد لا يتاح لها عمل محلي للعيد.. وذلك من خلال إرسال صرر تحوي كمية من تلك الحلويات وبذلك تعمّ فرحة العيد الجميع وكل عام أنتم بخير.

وأنا بدوري أقول كل عام ووطننا بخير، حمى الله سورية ووثق عرا شعبها بالحب والإيثار والعطاء.